

التبيان في تفسير القرآن

(467) ومن آمن به على أنه كذبا إن عاد في ملتهم بأن يحللوا ما يحللونه ويحرموا ما يحرمونه وينسبونه إلى الله بعد إذ نجاهم الله منها. والافتراء الكذب، ومنه الافتعال، والاختلاق وهو القطع بخبر مخبره لا على ما هو به، مشتقا من فري الاديم تقول فريت الاديم أفره فريا. والملة الديانة التي تجتمع على العمل بها فرقة عظيمة. والاصل فيه تكرر الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه حتى توطأ، ومنه الملل وهو تكرر الشئ على النفس حتى تضجر. والملة الرماد الحار يدفن فيه الخبز حتى ينضج لتكرر الحمي عليها، ومنه المليلة من الحمى. والملة لتكرر العمل فيها على ما تأتي به الشريعة. وقوله " بعد إذ نجانا الله منها " باقامة الدليل والحجج على بطلانها، وعلمنا بذلك وانتهائنا عنها. وقوله " ربنا افتح " قال ابن عباس: ما كنت أدري معنى قوله " ربنا افتح " حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن تقول: تعال حتى أفاتحك يعني أقاضيك. وقوله " وما يكون لنا أن نعوذ فيها إلا أن يشاء الله ربنا " إخبار عن قول شعيب لهم أنه ليس له أن يعود في ملتهم، ويرجع فيها إلا بعد مشيئة الله ذلك. وقيل في معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه لا يشاء تعالى عبادة الاصنام والاثان ثلاثة أقوال: أحدها - أن في ملتهم أشياء كان يجوز أن يتعبدا الله بها، فلو شاءها منهم لوجب عليهم الرجوع فيها. الثاني - أنه اذا فعل ما شاء الله كان ذلك طاعة الله تعالى. الثالث - أنه علق ما لا يكون بما علم أنه لا يكون على وجه التبعيد كما قال الشاعر: إذا شاب الغراب أتيت أهلي * وصار القار كاللبن الحليب (1) _____ (1) مر في 4 / 430.